مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد السابع
مارس 2023 March

دلالة الشاهد الشعري لغويا عند أبي عبيدة

د. إمحمد الصغير كريديغ
جامعة صبراتة/ كلية الآداب والتربية صبراتة

المقدمة

الحمدلله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام ، وحبب إلينا الإيمان، وهيأ لنا دراسة القرءان وبعد :

فلقد اهتم العلماء السابقون بالقرآن كثيراً ، ولم يكن هذا الاهتمام منحصرا في علماء الدين والفقهّ وإنّما شمل علماء اللغة والنحو ، فكثرت المؤلفات حول القرآن وتنوعت، فألّفوا في تفسيره ومعانيه، وإعرابه وقراءاته، وكان من أوائل اللغويين والنحويين الذين أولوا القرآن عناية واهتماماً وألّفوا حوله الكتب والمصنفات أبو عبيدة معمر بن المثنّى ، فألّف في تفسيره وفي بيان معانيه وفي توضيح مشكله، وجاء مصنفه (مجاز القرآن) مزينا بشرح اللفظ القرآني، وتفسير تركيبه اللغوي وتوضيح مشكله ، وبما يحتاج إلى فهمه بعض العناء ، كما اهتم أيضاً ببيان الأوجه الإعرابية لما أشكل في آيات القرآن، وإظهار ما فيها من دلالات، ووجد في بيان معاني القرآن وتفسيره ميداناً له، يُظهر فيه ما منحه الله من سعة علم ، وقدرة على الاستنباط والتحليل، فجاء مصنفه في مجاز القرآن دوائر معارف قرآنية فيها التفسير ، وفيها القراءات، وفيها اللغة والنحو، وفيها الصرف وفيها البلاغة ، وغيرها من المعارف والعلوم .

ولما كان أبو عبيدة من كبار اللغويين وأئمة النحو؛ فقد تضمن مصنفه كثيراً من الآراء القيمة، والدراسات المستفيضة، والتحليلات الواسعة والقواعد العامة، والشواهد الكثيرة التي وجد فيها بعض من عاصره، و كثير ممن جاء بعده من المصنفين في الدراسات القرآنية والدراسات اللغوية نبعاً ينهلون منه، ويضمنون مصنفاتهم لما هو أصيل ومبتكر من آراء ومسائل وقواعد وشواهد .

وكان لأبي عبيدة دور كبير في النهوض بالنحو ومسائله، بما أصّله من مباحث وقواعد، وآراء انفرد بها عن غيره من النحاة السابقين واللاحقين، وليس هذا بغريب، فأبو عبيدة إمام اللغة، وأول من صنّف في معاني القرآن وغريبه.

ومن خلال دراستي لهذا الكتاب القيم (مجاز القرءان) شدني الشاهد الشعري الذي وظفه أبوعبيدة في تفسير القرءان وإثبات أن القرءان قد جاء على نحو ماتكلمت به العرب.

Copyright for the journal © 1 حقوق الطبع محفوظة للمجلة

فكان من أسباب اختياري لهذ الموضوع هوالبحث في بيان أثر الشاهد الشعري في التفسير والوقوف على دلالة الشواهد الشعرية لغويا عند أبي عبيدة من خلال كتابه مجاز القرءان ، الذي يعد مصدرا أصيلا للشواهد الشعرية في كتب التفسير .

جاء في خزانة الأدب: " الكلام الذي يُستشهد به نوعان : شعر وغيره ، فقائل الأول قد قسّمه العلماء على طبقات أربع :

الطبقة الأولى:الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى و**الثانية المخضرمون** وهم:الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان **والثالثة المتقدّمون** ويُقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق، **والرابعة المولدون** ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس. فالطبقتان الأُوليان يُستشهد بشعرهما إجماعا ، وأمّا الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها ... وأما الرابعة فالصحيح أنّه لا يُستشهد بكلامها مطلقا وقيل يُستشهد بكلام من يُوثق به منهم"**(1)** .

وقد استشهد أبو عبيدة بالشعر في عدة مواضعَ من كتابه ، ويمثل الشاهد الشعري عنده ركنا مهما،ومصدرا رئيسيا من مصادر الاستدلال ، ولكثرة الشواهد الشعرية في هذا الكتاب رأيت دراسة نماذج منها فاخترت عشرة شواهد ، ومنهجي في ذلك أن أذكر الشاهد الشعري عند أبي عبيدة منسوبا إلى قائله وموضعه من كتاب المجاز، والمسألة التي استشهد به من أجلها ، ، ثم أذكر آراء بعض علماء اللغة في هذا الشاهد أو وجه الاستشهاد به .

وقد قسمت بحثي هذا على مبحثين وخاتمة؛ تضمنت النتائج التي توصلت إليها، و ذيلته بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث .

المبحث الأول : أبوعبيدة حياته. ومكانته العلمية

توطئة:

أبو عبيدة معمر بن المثنّى ، قمة شامخة من قمم العلوم ، وهو من الرواة العلماء الكبار ، الذين عنوا بالعلوم العربية : اللغة والشعر والأخبار؛ ودوّنوها في مؤلفاتٍ وبلّغوها بالرواية والتأليف والتعليم إلى جيلٍ تالٍ يتحمّلها ويُبلغها ما شاء .

وقد كانت هذه الفترة في حياة المجتمع الإسلامي تقضي عليه أن يكتب تاريخه الماضي من وجه، وأن يُعالج مشكلاته اللغوية القائمة من وجهٍ آخرَ ، وكان له أوفر النصيب في جمع مادة ذلك التاريخ رواية والنفاذ منها إلى وضع تاريخٍ محقق دقيق دراية .

وكان له نصيب وافر في التنبّه على حاجات ذلك المجتمع اللغوية ، وعلى رأسها حاجته إلى فهم القرآن الكريم فألّف كتابا قيما نافعا في سداد تلك الحاجة وهو: مجاز القرآن .

وهو من الرواد الأوائل ومعْلم من المعالم الأصلية الكبار على طريق دراسة التراث، وهو منهل استسقى منه من جاء بعده ممن كانوا يُدارسون اللغة والشعر والأخبار ودرسه بذلك يفسر لنا مرحلة مهمة من مراحل الثقافة العربية حين كانت تتلاقى فروعها ولا تكاد تتمايز ، ويُوقفنا على طورٍ مهم في تشكيل كل علمٍ من علوم العربية التي استوت وتمايزت كما بلغتْنا .

أ- أبوعبيدة: (حياته):

معمر بن المثنى بذلك تسميه المصادر التي عرضت لها جميعها ، ولكنها لا تتوقف إليه بالبيان والتفصيل ونستطيع أن نعرف أنّ (معْمرا) هو اسم الرجل وبذلك كان يُخاطبه الرشيد في مجالسه عندما استقدمه إلى بغداد . وقد ضبط ابن خلكان اسمه وقيد صورة النطق به على هذا النحو : " معْمرَ : بفتح الميمين ، بينهما عينٌ مهملةٌ وفي آخره الراء والمثَنَّى: بضم الميم وفتح الثاء المثلثة، وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها "(2)، وكنيته أبو عبيدة كنية غالبة مشهورة تفوق في شيوعها اسم الرجل الأصلي حتى كادت تُغطّي ما سواه ممن تكنّوا بها. وكانت ولادته في رجب سنة عشرٍ ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري رضي الله عنه ، وقيل في سنة إحدى عشرة ومائة وقيل أربع عشرة، وقيل ثمان، وقيل تسع . والأول أصح، والذي يدلّ عليه أنّ الأمير جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – سأله عن مولده فقال: قد سبقني إلى الجواب عن مثل هذا عمر بن أبي ربيعةَ وقد قيل له: متى وُلدت ؟ فقال : في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب . فأي خيرٍ رفع ، وأي شر وضع؛ وإنّي ولدت في الليلة التي مات فيها الحسن البصري وجوابي جواب عمر بن أبي ربيعةَ ... وتوفي سنة تسعٍ ومائتين بالبصرة ، وقيل سنة إحدى عشرة ، وقيل سنة عشر وقيل ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى " (3) .

ب- مؤلفاتـه ومكانته العلمية :

ذكر السيوطي في بغية الوعاة أنّ أبا عبيدة صنّف مؤلفاتٍ عديدةٍ منها: المجاز في غريب القرآن، والأمثال في غريب القرآن، والمثالب، وأيام العرب، ومعاني القرآن، وطبقات الفرسان و...وغير ذلك"(4). ومجاز القرآن هو أشهر مؤلفات أبي عبيدة وأوسعها تناقلاً ومدى ، وأعمقها تأثيراً وصدى ، بل هو طرفة من طرف التأليف في ذلك العصر.

وضعه أبو عبيدة أو (عمله) كما يقول بعد أن رجع من البصرة من رحلته إلى بغداد 188 هجرية وكان الدافع المباشر إلى وضعه هو سؤال أحد الكتاب إيّاه وكان في مجلس الفضل بن الربيع عن قوله تعالى : ﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ (الصافات الآية 65) ، قال الكاتب لأبي عبيدة " إنّما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله ، وهذا لم يُعرف فقال أبو عبيدة : فقلت إنّما كلّم الله العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيَقْتُلُني وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال** (5)

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به .

فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ؛ وأزمعت منذ ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من علمه، ولما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سمّيته المجاز" (6).

مكانته العلمية:

ونحن نميط اللثام عن مكانة علمية يحتلها أبو عبيدة يجدر بنا أن نعرض بعض أقوال العلماء فيه علّنا نعطيه جزءاً ممّا يستحقه من التقدير، وشاهدنا الأول في ذلك هو الجاحظ: الذي قال فيه " لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه" (7)، وقال عنه السيوطي: " وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب والأيام... وقال بعضهم كانت الطلبة إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر، وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر... وقال يزيد بن مرة ما كان أبو عبيدة يفتش عن علم من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنّه لا يُحسن غيره " (8)، وسُئل عنه أبو نواس فقال: ذاك أديم طوي على علم " (9)، وقيل لأبي نواس قد أحضر أبو عبيدة والأصمعي إلى هارون الرشيد فقال : أمّا أبو عبيدة فإنّهم إن أمكنوه قرأ عليهم أخبار الأولين والآخرين " (10) .

وطلب منه الفضل بن الربيع القدوم إلى بغداد فلما قدم إليها ودخل على الفضل قال الفضل لكاتبه وجلسائه : هذا أبو عبيدة علاّمة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه " (11)

المبحث الثاني :بعض شواهده الشعرية

الشاهد الأول قول النابغة الجعدي :

تمزّزْتُهَا والدّيكُ يدعو صَبَاحَه * إذا بنو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبوا([12])**

استشهد أبو عبيدة بهذا البيت في ثلاثة مواضع من كتابه المجاز واختلفت رواية الشطر الأول من البيت في الموضع الثالث فكانت : **شربت إذا ما الديك ([13])**، وفي المواضع الثلاثة أراد أبو عبيدةَ أن يؤكد حقيقة واحدة وهي أنّ العربَ توقع أفعال الآدميين على غير الآدميين أو تعامل غير العاقل معاملة العاقل، وأنّ القرآن جاء على وجوه كلام العرب في ذلك. وسأكتفي بتناول هذا الشاهد في موضع واحد من مجاز القرآن في قوله تعالي: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون** ﴾**(الأنبياء من الآية33)** ، يقول أبو عبيدة:" يسبحون أي يجرون،وكل تقع صفته وخبره وفعله على لفظ الواحد، لأن لفظه لفظ الواحد ، والمعنى يقع على الجميع لأن معناه معنى الجميع ... ومعنى كل المستعمل يقع أيضا على الآدميين فجاء هنا في غير جنس الآدميين ، والعرب قد تفعل ذلك قال النابغة الجعدي : **تمزّزتُها والديكُ يدعو صبَاحَه...** " **([14])**

ويُعلّل أبوعبيدة استعمال النابغة كلمة (**بنو**) بدلاً من بنات في البيت السابق) بأنّ العرب تخاطب غير الآدمي مخاطبة الآدمي؛ وأورد أمثلةً كثيرةً من القرآن الكريم تؤكّد ما ذهب إليه. والبيت من شواهد سيبويه استدلّ به على ما ذهب إليه أبوعبيدةَ فقال: وأمّا ﴿ **كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون** ﴾ (الأنبياء من الآية 33) ، و﴿ **رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾(يوسف من الآية4)، و ﴿ **يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ** ﴾ (النمل من الآية 18)، فزعم الخليل أنّه بمنزلة ما يُعقل ويُسمع لما ذكّرهم بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حين حدثت عنه كما تحدّث الأناسي... فقال النابغة : **شربت بها والديك يدعو صباحه**... فجاز هذا حيث صارت هذه الأشياء عندهم تؤمر وتطيع وتفهم الكلام وتعبد بمنزلة الآدميين" (15). ويُعلّل ابن هشام قول الشاعر (بنو نعش) بدلاً من (**بنات نعش**) بتغيير " نظم الواحد شبّهه بجمع التكسير فسهل مجيئه لغير العاقل " (16) .

فابن هشام يعني أنّ مفرد(بنات نعش)هو: ابن نعش وليس(بنت نعش) لذا فقد تغيّر نظم المفرد عن جمعه فصار شبيهاً بجمع التكسير لذا جاز تذكيره .

2 – الشاهد الثاني : قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا ** * و أندى العالمينَ بطونَ راحِ (17)

استشهد به أبوعبيدة على مجيء الهمزة على لفظ الاستفهام ومعناها معنى الإيجاب ففي قوله تعالى : ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ (البقرة من الآية30) ، يقول أبو عبيدةَ : " جاءت على لفظ الاستفهام ، والملائكة لم تستفهم ربها ... ولكن معناها معنى الإيجاب أي إنّك ستفعل ، وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان: **أَلَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا**... وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألست الفاعلَ كذا ؟ ليس باستفهامٍ ولكن تقرير " (18) .

والبيت السابق استدلّ به ابن جنّي على خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير فقال : " ومثلهُ خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير، ألا ترى أنّ التقريرَ ضربٌ من الخبر، وذلك ضدّ الاستفهام، ويدلّ على أنّهُ فارق الاستفهام امتناع النصب بالفاء في جوابه، والجزم بغير الفاء في جوابه، ولأجل ما ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل النفيَ إلى الإثبات، والإثبات إلى النفي وذلك كقوله : **أَلَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا**.... "(19) .

والهمزة في (**ألستم**) سمّاها الرمّاني همزة التقرير وألف الإيجاب فقال: " والألف إحدى عشرة ألفاً وهي: ألف الأصل، وألف الوصل، وألف القطع ... وألف التقرير وألف الإيجاب "(20)

3 – الشاهد الثالث : قول عبد مناف بن ربع الهذلي

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدةٍ ***شلاّ كما تُطرد الجمّالة الشُّرُدا(21)

استشهد به أبوعبيدةَ عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**﴾(الإسراء من الآية 61):فذهب إلى أنّ معنى الآية: وقلنا للملائكة، وإذ زائدة في الآية كما أن إذا زائدة في البيت والمعنى: حتى أسلكوهم(22) ومعنى البيت:حتى أدخلوهم في طريق ضيق وطردوهم كما تطرد الابل الشاردة. وإذا كان أبوعبيدةَ قدِ استشهد بهذا البيت هنا على زيادة (إذ) فإنّهُ في موضعٍ آخر قد استشهد به على مجيء كلام مكفوف عن خبره ؛ جاء ذلك في تفسيره قول الله تعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ** ...﴾ إلى قوله : ﴿ **فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ (الزمر من الآية73) فقال " مكفوفٌ عن

خبره ، والعرب تفعل هذا ، قال عبد مناف بن ربع في آخر قصيدةٍ : **حتى إذا أسلكوهم فى قتائدةٍ...**" (23) .وقوله مكفوف عن خبره أي خبره محذوف.

الشاهد الرابع : قول خداش بن زهير :

وتُركبُ خيلٌ لا هوادةَ بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحُمْرِ**

استشهد به أبوعبيدة على أنّ العرب تتصرّف في كلامها بما يبدو ، كأنّهُ مقلوبٌ نحو قولهم : أعرض الحوض على الناقة ، وهم يُريدون أن تعرض الناقة على الحوض لتشرب ، ومثل هذا كثيرٌ في كلام العرب؛ وعلى نحوه جاء القرآن الكريم كقوله تعالى :﴿ **مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ** ﴾ (القصص من الآية76)، وفي تفسير هذه الآية يقول أبوعبيدةَ " أي مفاتح خزائنه ومجازه : ما إن العصبة ذوي القوة لتنؤ بمفاتح نعمه ويُقال في الكلام : إنّها لتنوء بها عجيزتها وإنّما هي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله، والعرب قد تفعل مثل هذا قال الشاعر :

وتُركبُ خيلٌ لا هوادةَ بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر**

الخيل هاهنا الرجال ، وإنّما تشقى الضياطرة بالرماح ... ويُقال: أعرض الحوض على الناقة وإنّما تعرض الناقة على الحوض...أي أنّ العربَ تريد الشيء فتحوّلهُ إلى شيءٍ من سببهِ "(24)

وهو كثير في كلام العرب وردّ التنبيه توكيد ، وتقول : ما أنا هذا ، وما أنت هذا ، فتجعل هذا للذي يخاطب ، وتقول : هذا أنت.

وقد عدّ بعضهم تصرّف العرب في كلامهم على هذا النحو من قبيل الكلام المقلوب الذي يُفسد المعنى فقال: "ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوباً فيفسد المعنى، ويصرفه عن وجهه، ولذلك أمثلةٌ مذكورةٌ ... "ومنهُ قول خداش بن زهير: **وتُركبُ خيلٌ لا هوادةَ بينها**... "(25).

وقوله يفسد المعنى لا أراهُ كذلك لأنّهم إنّما يأتون بمثل هذه الضروب والفنون من القول عندما يكون المعنى مفهوماً واضحاً لا لبس فيه فهم يقولون مثلاً أعرض الحوض على الناقة .

وهم يعلمون أنّ المخاطب فَهِمَ المقصد؛ وهو أن تُعرض الناقةُ على الحوض فلا مجال لفساد المعنى إذاً ، وهذا اللون من الكلام قد جاء عليه القرآن الكريم .

" فكلّما اختلفت الجمل كان الكلام أفانينَ وضروباً فكان أبلغ منه إذا ألزم شرحاً واحدا " (26) .

5- الشاهد الخامس : قول خِزْنق بِنت هِفَّان :

لا يبعدن قومي الذين هُمُ ***سُمُّ العُداة وآفة الجزرِ

النازلين بكل معترك * والطيبين معا قد الأُزر**(27)

استشهد أبوعبيدة بهذين البيتين على وجه آخر من وجوه كلام العرب ، وهو إخراجهم اللفظ من الرفع إلى النصب ؛جاء ذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ** ﴾(البقرة من الآية177)

يقول أبو عبيدة : "**(الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ)** رُفعت على موالاة قوله " **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ** " ... ثم أخرجوا **(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ)** من الأسماء المرفوعة والعرب تفعل ذلك إذا كثر الكلام . سمعت من ينشد بيت خرنق بنت هفان من بني سعد بن ضُبيْعَة رهط الأعشى :

لا يبعدن قومي الذين هُمُ ***سُمُّ العُداة وآفة الجزرِ

النازلين بكل معترك * والطيبين معا قد الأُزر**

فيُخرجون البيت الثاني من الرفع إلى النصب ، ومنهم من يرفعه على موالاة أوله في موضع الرفع"(28). يُشير أبو عبيدةَ بقوله السابق إلى وجهٍ آخرَ من وجوه كلام العرب وهو إخراجهم اللفظ من الرفع إلى النصب ، فقوله تعالى :﴿ **وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ** ﴾ رفع ثم عطف عليه ﴿ **وَالصَّابِرِينَ** ﴾ فنصب ، وعلل ذلك أبو عبيدةَ بقوله : والعرب تفعل ذلك إذا كثر الكلام .وهو هنا لم يوجه هذه الآية توجيهاً إعرابياً؛ وقد وجّه الخليل الرفع والنصب في البيت الثاني وأشار إلى أنّ هذا البيت يُنشدُ على ثلاثةِ أوجه :

النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون، والطيبين والنازلين، وأنّ الرفع على تقدير مبتدأ محذوف يُقدّر بـ(هم) وأنّ النصب بفعلٍ مضمرٍ تقديره أعني ، وهكذا كلما اختلفت الجمل كان الكلام أفانينَ وضروباً أبلغَ (29) .

6-الشاهد السادس : قول الأعشى :

أقولُ لمّا جاءني فخرُهُ * سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخرِ**(30)

استشهد به أبو عبيدة على أن معنى (سبحان الله) تنزيه لله وتبرؤ؛ وذلك عند تفسيره **قول الله تعالى:** ﴿ **سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا.**﴾ (البقرة من الآية 32) فأشار إلى أن قول الأعشى(سبحان من علقمة الفاخر)كان تبرؤاً وتكذيبا لفخر علقمة.(31)

والبيت استشهد به الأخفش أيضا عند تفسيره **لقول الله تعالى :** ﴿ **سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا** ﴾(البقرة من الآية 32) إلا أنّه لم يكتف كأبي عبيدة بتوضيح معنى سبحان لغويا وإنّما يوجهه إعرابيا فيقول : " فنصب سبحانك ،لأنّه أراد نسبحك بسبحانك ولكن (سبحان) مصدر لا يتصرف ، وسبحان في التفسير براءة وتنزيه قال الشاعر:

أقولُ لمّا جاءني فخرُهُ * سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخرِ**

يقول براءة منه "(32) ،ويفسر سيبويه معنى سبحان فيقول "زعم أبو الخطاب أنّ سبحان الله كقولك براءة الله من السوء ، كأنّه يقول أبرئُ براءة الله من السوء" (33) ، و أشار ابن جنّي إلى أن(سبحان) " اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه بمنزلة عثمان وحمران "(34) وسبحان ملازم للإضافة إلى المفرد وهو المشهور عند أهل اللغة والنحو ، وذهب جماعة إلى أنّ سبحان يُستعمل غير مضاف واستشهدوا على ذلك بقول الأعشى : **قد قلت لما جاءني فخره *** سبحان مِنْ علقمةَ الفاخرِ**

وأرى أنّ المضاف إليه يمكن أن يكون مضمرا والتقدير سبحان الله من علقمة.

7-الشاهد السابع :

قول النابغة الذبياني : حلَفْتُ، فلم أترُكْ لنَفسِكَ رِيبةً ***وهلْ يأثمَنْ ذو أُمةٍ وهوَ طائعُ(35)

استشهد أبو عبيدة بهذا البيت على أن أُمة بضم الهمزة وإمة بكسرها بمعنى واحد وهو الدين والاستقامة ؛ ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران من الآية 104) فقال : "...وبعضهم يقول ذو أمة بمعنى واحد ، أي ذو دين واستقامة وكانوا بأمَّةٍ وإمَّةٍ أي : استقامة من عيشهم ، أي دوم منه ... وقال النابغة في أُمَّةٍ وإمَّةٍ : معناه الدين والاستقامة : **وهلْ يأثمَنْ ذو أُمةٍ وهوَ طائعُ.**

ذو أُمةٍ بالرفع والكسر ، والمعنى الدين والاستقامة "(36) .وأبو عبيدةَ اكتفى بذكر الشطر الثاني من البيت محل الشاهد ولم يذكر شطره الأول.

الشاهد الثامن : قول عمرو بن امرئ القيس

نَحْنُ بِما عِنْدنا وأنتَ بِما * عِنْدَكَ راضٍ والرأي مُخْتَلِفُ**(37)

استشهد به أبو عبيدة على وجهٍ من وجوه كلام العرب ذلك أنّهم إذا أشركوا بين اثنين قصّروا فخبّروا عن أحدهما استغناءً بذلك وتخفيفاً ، وجاء الاستشهاد بهذا البيت عند أبي عبيدةَ في موضعين وكان وجه الاستشهاد واحداً لذا سأقتصر على موضعٍ واحدٍ وهوعند تفسيره لقوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾(التوبة من الآية 34) يقول أبوعبيدةَ " صار الخبر عن أحدهما ، ولم يقل (ولا ينفقونهما) والعرب تفعل ذلك إذا أشركوا بين اثنين قصروا فخبّروا عن أحدهما استغناءً بذلك وتخفيفًا ، لمعرفة السامع بأنّ الآخرَ قد شاركهُ ودخل معه في ذلك الخبر " (38)

قال الأخفش : " هذا كلامٌ منه ما يُحمل على الأول ، ومنه ما يُحمل على الآخر ، وقال : ﴿ **وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ** ﴾(التوبة من الآية62) فهذا يجوز على الأوّل والآخر ، وأقيس هذا إذا ما كان بالواو أن يُحمل عليهما جميعاً تقول : زيدٌ وعمرٌو ذاهبان ، وليس هذا مثل أو لأنّ أو إنّما يُخبر فيه عن أحد الشيئين وأنت في(أو) بالخيار ، إن شئت جعلت الكلام على الأوّل ، وإن شئت على الآخر ، وأن تحمله على الآخر أقيس ، لأنّك إن تجعل الخبر على الاسم الذي يليه فهو أمثل من أن تجاوزهُ إلى اسمٍ بعيد منه " (39) .

وهذا ما ذهب إليه المبرد حين قال " فالعرب تختار إعمال الآخر لأنّه أقرب وتحذف إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا " (40) .أمّا ابنُ عقيل فقد أشار إلى موطنٍ آخرَ من مواطن الاستشهاد في هذا البيت وهو حذف الخبر فقال : " يُحذفُ كلٌّ من المبتدأ والخبر إذا دلّ عليه دليلٌ جوازاً ووجوباً ...فمثال حذف الخبر أن يُقال : من عندكما ؟ فتقول : زيد والتقدير عندنا ومثله قال الشاعر : **نَحْنُ بِما عِنْدنا** ... التقدير بما عندنا راضون " (41)

الشاهد التاسع قول الأعشى :

لَقَدْ كَانَ في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتَه * تُقضّي لبناتٍ، ويسأمُ سائمُ** (42)

استشهد به أبو عبيدةَ على الجر بالجوار في (**ثواءٍ**) وذلك **عند تفسير قوله تعالى:**﴿ **يسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾(البقرة من الآية217) فقال"مجرور بالجوار لما كان بعده ((فيه)) كناية للشهر الحرام "(43)

وموطن الشاهد هنا هو((**ثَوَاءٍ**)) التي جُرّت _ كما يرى أبو عبيدةَ _ بالجوار ويعلل جر((**قتالٍ**)) بالجوار بوجود ((**فيه**)) الذي يعود فيه الضمير على الشهر الحرام .

يقول أبو حيان الأندلسي:"ومما لم يتبع النعت فيه المنعوت قول العرب: «هذا جحر ضب خرب» بجر (خرب)، وحقه الرفع، لأنه وصف للجحر لا للضب، لكنه جر لمجاورته المجرور، وهذا الذي يقولون فيه الخفض على الجوار."(44)

و"أنكر السيرافي وَابْن جني الْخَفْض على الْجوَار؛ وتأولا قَوْلهم خرب بِالْجَرِّ على أَنه صفة لضب ثمَّ قَالَ السيرافي الأَصْل خرب الْجُحر مِنْهُ بتنوين خرب وَرفع الْجُحر ثمَّ حذف الضَّمِير للْعلم بِهِ وحول الْإِسْنَاد إِلَى ضمير الضَّب، وخفض الْجُحر كَمَا تَقول مَرَرْت بِرَجُل حسن الْوَجْه بِالْإِضَافَة وَالْأَصْل حسن الْوَجْه مِنْهُ ثمَّ أَتَى بضمير الْجُحر مَكَانَهُ لتقدم ذكره فاستتر وَقَالَ ابْن جني الأَصْل خرب جُحْره ثمَّ أنيب الْمُضَاف إِلَيْهِ عَن الْمُضَاف فارتفع واستتر، ويلزمهما استتار الضَّمِير مَعَ جَرَيَان الصّفة على غير من هِيَ لَهُ؛ وَذَلِكَ لَا يجوز عِنْد الْبَصرِيين وَإِن أَمن اللّبْس وَقَول السيرافي إِن هَذَا مثل مَرَرْت بِرَجُل قَائِم أَبَوَاهُ لَا قَاعِدين مَرْدُود لِأَن ذَلِك إِنَّمَا يجوز فِي الْوَصْف الثَّانِي دون الأول...وَمن ذَلِك قَوْلهم هنأني ومرأني وَالْأَصْل أمرأني وَقَوْلهمْ هُوَ رِجْس نجس بِكَسْر النُّون وَسُكُون الْجِيم وَالْأَصْل نجس بفتحة فكسرة"(45)

و أنكر ابن الحاجب وجود الخفض على الجوار فقال ؛

"وقال الإمام : إنه مخفوض على الجوار، وليس بجيد، إذ لم يأت الخفض على الجوار في القرآن ولا في الكلام الفصيح، وإنما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب، فلتحمل الآية على ما ذكر. والله أعلم بالصواب."(46)

الشاهد العاشر قول عمرو بن معد كرب :

وكل أخٍ مفارقه أخوه لعمر * أبيك إلّا الفرقدان** (47)

استشهد به أبوعبيدة على رفع (**قَلِيلٌ**) في قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾**(النساء من الآية 66)** ، قال أبو عبيدة : " ما فعلوه : استثناء قليل من كثير فكأنّه قال : ما فعلوه فاستثنى الكلام ، ثم قال إلاّ أنّه يفعل قليلٌ منهم ، ومن زعم أنّ ما فعلوه في موضع ما فعله إلاّ قليلٌ منهم ،وقال عمرو بن معد كرب : **وكل أخٍ مفارقة أخوه لعمر...** فشبه رفع هذا برفع الأوّل ، وقال بعضهم : لا يشبهه لأنّ الفعل منهما جميعاً "**(48)** ويرى سيبويه أنّ إلاّ بمعنى غير إذا كانت صفة فقال: " وقال عمرو بن معد كرب **وكل أخٍ مفارقه أخوه *** لعمر أبيك إلّا الفرقدان**

كأنّه قال : وكل أخٍ غير الفرقدين مفارقه أخوه إذا وصفت به**(49)** ،أمّا الكسائي فيرى محذوفاً في البيت تقديره :(لعمر أبيك إلاّ أن يكون الفرقدان) ، وقد أنكر الرضي عليه ذلك معللاً بأنّ الحرف الموصول لا يُحذف إلاّ بعد الحروف التي في نواصب المضارع ؛مشيرا إلى وجود شذوذين: الأوّل: وصف (كل) دون المضاف إليه والمشهور وصف المضاف إليه ، إذ هو المقصود، و (كلٌ) لإفادة الشمول فقط . وهذا الوصف ضرورة للشاعر إذ لو جاز له وصف المضاف إليه وهو أن يقول إلاّ الفرقدين ، لم يجعل إلا صفةً بل كأنّه يجعله استثناءً ، والشذوذ الثاني : الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف وهو قليل **(50)**

خاتمة البحث ونتائجه:

توقف بنا قطار البحث عند محطته الأخيرة ؛ بعد أن تجول بنا في بساتين الشواهد الشعرية عند أبي عبيدة بأشجارها وارفة الظلال، يانعة الثمار؛ فجنينا أقربها يدا، وأطيبها مذاقا وخلصنا إلى النتائج الآتية :

1. يعد كتاب مجاز القرءان مصدرا أصيلا للشواهد الشعرية في كتب التفسير .
2. وظف أبوعبيدة الشاهد الشعري في إثبات أن القرءان قد جاء على نحو ما تكلمت به العرب.
3. يمثّل الشاهد الشعري لأبي عبيدة ركناً مهماً ومصدراً رئيسياً من مصادر الاستدلال .
4. تكرر الشاهد الشعري الواحد عنده في أكثر من موضع .
5. أكثر استدلالات أبي عبيدة لُغوية .

المصادر والمراجع

القرءان الكريم

1_ ينظر خزانة الأدب ولبِّ لباب العرب لعبدالقادر بن عمر البغدادي ت: محمد نبيل وإميل بديع اليعقوب – دار الكتب العلمية بيروت 1–29–30

2_ وفيات الأعيان وأبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد خلكات ت: إحسان عباس 5–243

3 – المصدر نفسه الصفحة ذاتها

4– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية . لبنان . صيدا 2–295

5– ديوان امرئ القيس ت: حنا الفاخوري ، دار الجبل ، بيروت ط 2 ص62

6– وفيات الأعيان 5–236

7– الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي . دار العلم للملايين 7– 242بغية الوعاة 2–272

8– بغية الوعاة

9_ وفيات الأعيان 2– 100

10_ المصدر نفسه 3–171

11_المصدر نفسه 5–236

12_ خزانة الأدب 8–82

13_ ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى ت: محمد فؤاد سركين – مكتبة الخانجي – القاهرة.1/276–2/38_2/83

14_ مجاز القرءان 2/38

15_ الكتاب لأبي بشر عثمان عمرو بن عثمان بن قنير المعروف بسيبويه ت: عبدالسلام محمد هارون.48/2

16- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن هشام الأنصاري : مازن المبارك ومحمد علي حمدالله – دار الفكر بيروت – ط478/6.1

17- ديوان جرير شرح محمد بن حبيب ت:نعمان محمد،دار المعارف القاهرة ط3 ص98

18- مجاز القرءان 35،36/1

19-الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ت: محمد علي النجَّار الهيأة المصرية العامة للكتاب 463/2

20- منازل الحروف لأبي الحسن علي بن عبدالله الرماني ت: إبراهيم السمارائي دار الفكر عمان.24/1

21- ديوان الهذليين 42/2

22- ينظر مجاز القرءان37/1

23- مجاز القرءان 192/2

24- المصدر نفسه 111/2

25- سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد سعيد الخفاجي دار الكتب العلمية بيروت.114/1

26- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جنِّي وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 197/2

27- ينظر خزانة الأدب 5-41

28- مجاز القرءان 65،66/1

29- الجمل في النحو لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت : د . فخر الدين قباوة ط5 .89/1 والمحتسب لابن جني 197/2

30- ديوان الأعشى ت: رودلف جابر ، فينا ص56

31_ ينظر مجاز القرءان 1-36

32- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ت: عبدالأمير محمد المورد عالم الكتب بيروت – لبنان – ط1 .57/1

33– الكتاب لسيبويه 324/1

34– الخصائص لابن جني 199/2

35 – ديوان النابغة الذبياني ت: كرم البستاني ، دار صادر بيروت ص81

36– مجاز القرءان 257/1

37– ينظر خزانة الأدب 4–283

38– مجاز القرءان 257/1

39_ معاني القرءان للأخفش 81/1

40– المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت: محمد عبدالخالق عظيمة – عالم الكتب – بيروت.112/3

41– شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبدالله بن عقيل ت: محمد محي الدين عبدالحميد – دار التراث – القاهرة – ط20. 244/1

42 – ديوان الأعشى ص56

43– مجاز القرءان 72/1

44– ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ت:رجب عثمان محمد مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1 912/4

45– مغني اللبيب 896/1

46 – أمالي ابن الحاجب لأبي عمرو عثمان بن الحاجب ت : فخر صالح سليمان دار الجيل – بيروت .288/1

47 – ينظر خزانة الأدب3–427

48– مجاز القرءان 131/1

49– الكتاب لسيبويه 334/2

50– ينظر شرح الرضي على الكافية لرضي الدين الأستراباذي ت : يوسف حسن عمر.130/2